شرح صريح السنة

لفضيلة الشيخ أحمد الجوهري عبد الجواد

حفظه الله ورعاه

المجلس الثاني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله سبحانه وتعالى وبحمده، وصلاة على رسوله وسلاما، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم؛ أما بعد:

فمرحبًا بكم أيها الأخوة الأحباب في هذا اللقاء الثاني من لقاءات شرح كتاب صريح السنة للإمام محمد بن جرير الطبري –رحمه الله تعالى-.

قال الإمام الطبري –رحمه الله-:

فأول ما نبدأ بالقول فيه من ذلك عندنا: القرآن كلام الله وتنزيله.

قال الشيخ: ما معنى كلام الله؟

أي إضافته إلى الله هي إضافة حقيقة، من باب إضافة الكلام إلى قائله.

وتنزيله: أي أن الله هو الذي أنزله.

قال الإمام الطبري –رحمه الله-: إذ كان من معاني توحيده، لماذا؟

قال الشيخ: لأن القرآن الذي هو كلام الله صفة من صفات الله.

والكلام في التوحيد:

- سواء من ناحية أفعال الله كالخلق والرزق والملك والتدبير.
- أو كان من حيث أفعال العباد كالصلاة والصوم والذبح والنذر.
- أو كان من حيث صفات الله تعالى كالكلام والسمع والبصر والعلم والإراده.

فكل هذا توحيده سبحانه وتعالى، توحيد الله بأفعاله، وبأفعالنا، وبأسمائه وصفاته.

قال الإمام الطبري ــ رحمه الله-:

فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه: كلام الله غير مخلوق كيف كتب وحيث تلي وفي أي موضع قرئ، في السماء وجد، وفي الأرض حيث حفظ، في اللوح المحفوظ كان مكتوبا، وفي ألواح صبيان الكتاتيب مرسوما، في حجر نقش، أو في ورق خط، أو في القلب حفظ، وبلسان لفظ.

قال الشيخ: وأئمتنا كانوا يقولون في القرآن كلام الله ولا يزيدون كلمة (غير مخلوق)، إلا أنه لما برز قول المعتزلة (القرآن مخلوق) أضافوا هذه الكلمة حتى يردوا بها على مذهب المعتزلة.

وكل فرقة تأتي بعد هذا تضيف معنى مخالف للمعنى المستقر عند أهل السنة والجماعة، وعند أهل الحديث الذي ينقلون عن التابعين عن الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم يبين العلماء دائما عوار مذهبهم وخطأ رأيهم في هذه المسائل بإضافات يضيفونها إلى أقوالهم.

غير مخلوق: من ناحية ألفظ، ومن ناحية المعنى، فالكل كلام الله، والكل غير مخلوق.

كيف كتب وحيث تلي وفي أي موضع قرئ أي على أي صورة كان فهو كلام الله المكتوب في المصحف، المتلو بالألسنة.

وفي هذا الذي يقرره الشيخ رد على كل الفرق التي سلكت في كلام الله مسلكا مخالفا لهذا جملة أو تفصيلا، فالبعض يقول: القرآن مخلوق، والبعض يقول: القرآن قسمان: قسم منه معنوي، وقسم لفظي، فأما المعنى فغير مخلوق، وأما اللفظ فمخلوق، فهذا كله مجانب للصواب الذي نقلة أئمة الإسلام وقام عليه إجماعهم أربعة قرون كاملة، وعليه دلائل القرآن والسنة النبوية.

قال الإمام الطبري ــ رحمه الله-:

فمن قال غير ذلك أو ادعى أن قرآنا في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد غير ذلك بقلبه، أو

أضمره في نفسه، أو قاله بلسانه دائنا به -أي معتقدا به-، فهو بالله كافر، حلال الدم، بريء من الله، والله منه بريء، بقول الله عز وجل: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج: 22]، وقال وقوله الحق - عز وجل -: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: 6].

قال الشيخ: تناول هنا أمرين في غاية الخطورة:

1. أن يدعي مدعيا في القرآن أنه مخلوق.
2. أن يدعي مدع أن هناك قرآن آخر غير هذا القرآن.

لماذا يكفر من قال القرآن مخلوق؟

لأن لو نظرنا لمن قال ذلك فكلامه لا يخرج عن ثلاثة أشياء:

1. أما أنه يقول خلقه الله في ذاته.
2. أو يقول خلقه الله في غيره.
3. أو يقول خلقه الله منفصلا مستقلا.

وكل هذ الثلاثة كفر صريح:

1. **فالأول: جعل ذات الله محلا للمخلوقات، وهذا كفر.**
2. **والثاني: في هذا يمكننا أن نقول أنه كلام ذلك الغير وليس كلام الله، فإذا خلقه في شجرة فهو كلام الشجرة، خلقه في جبريل فهو كلام جبريل، خلقه في محمدصلى الله عليه وسلم فهو كلام محمد.**

وهل يزيد قول هذا القائل على ما قاله الوليد بن المغيرة وقد كفره القرآن الكريم على قوله: (فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29)) سورة النجم، وقدم القرآن كلامه قبل ذلك: (ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24)) سورة النجم.

3. **والقول الثالث: هذا جحود لوجوده مطلقا؛ لأنه لا يتصور كلام بدون متكلم، فهذا جحد الله، فكما لا يوجد سمع دون سميع فكذلك لا يعقل كلام بدون متكلم.**

فالقرآن صفة من صفات الله، وصفة الله غير مخلوقه.

قال الإمام الطبري –رحمه الله-:

فأخبر، جل ثناؤه، أنه في اللوح المحفوظ مكتوب، وأنه من لسان محمد صلى الله عليه وسلم مسموع، وهو قرآن واحد من محمد صلى الله عليه وسلم مسموع، في اللوح المحفوظ مكتوب، وكذلك هو في الصدور محفوظ، وبألسن الشيوخ والشباب متلو.

قال الشيخ: فإذا حفظ بالقلب، وإذا تلي باللسان، وإذا سمع بالأذن، وإذا كتب باليد، فهو في كل ذلك كلام الله.

قال الإمام الطبري –رحمه الله-:

فمن روى عنا، أو حكى عنا، أو تقول علينا، فادعى أنا قلنا غير ذلك فعليه لعنة الله وغضبه، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، لا قبل الله له صرفا ولا عدلا، وهتك ستره، وفضحه على رؤوس الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

قال الشيخ: في الأسلوب شدة، وهي مبررة:

1) بما ذكرناه من أن المحنة شديدة والشائعات تلقى جزافا زورا وبهتانا.
2) أن هذه الشائعات لها أثرها، فهذا إمام المفسرين في الدنيا، إمام المؤرخين في الدنيا، شيخ المحدثين والأثر، فهو يتكلم بالكلمة فيلتقطها الناس من فمه لتكون منهجا، فإذا نقلت عنه شائعة، وإذا سرت خطأ عليه مقولة، فما أثرها؟ فمن ناحية العلماء فيردونها عليه أي كانت وهكذا كان شأنهم، لما نُقل إلى أبي بكر بن أبي داود رحمه الله مقالة قالها الطبري وكان خطأ رد المقالة وشنع على القول، ولعله لم يتيسر له أن يتأكد من صوابها لكنه ردها، وأما هذا من ناحية الناس مضلل.

والإمام أحمد ما الذي صبّره على الأذى مع أنه معه باب التقية، والترخص، والأخذ دون العزيمة! وذلك حتى لا ينقل عنه ذلك فيضلل الناس؛ ولذلك قالوا: عصم الله الإسلام بأبي بكر يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة.

قال الإمام الطبري ــرحمه الله-:

حدثنا موسى بن سهل الرملي، حدثنا موسى بن داود، حدثنا معبد أبو عبد الرحمن، عن معاوية بن عمار الدهني، قال: قلت لجعفر بن محمد رضي الله عنه ــوهذا جعفر الصادق من أئمة آل البيت علما وفضلا-: إنهم يسألون عن القرآن: مخلوق أو خالق؟ فقال: «إنه ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل».

قال الشيخ: لماذا ليس بخالق؟

لأنه صفة والخالق هو الله ليس بصفة.

و مخلوق؛ لأنه صفة من صفات الله كيف يكون مخلوقا.

فالواجب اعتقاده أنه كلام الله.

قال الإمام الطبري ــرحمه الله-:

وحدثني محمد بن منصور الأملي، حدثنا الحكم بن محمد الأملي أبو مروان، حدثنا ابن عيينة، قال: سمعت عمرو بن دينار، يقول: أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون: «القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود».

قال الشيخ: منه بدأ: أي منه ظهر، هو المتكلم به.

وإليه يعود: يرفعه الله يوما من الدهر يصبح الناس فلا يجدونه في صدورهم، ويفتحوا الكتب لا يجدونه في السطور، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم والأحاديث في ذلك مشهورة.

وهكذا انتهى من المسألة الأولى.

قال الإمام الطبري ــرحمه الله-:

وأما الصواب من القول في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة، وهو ديننا الذي ندين الله به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة، فهو: أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ: كلمة (الصواب) نريد أن نقف معها طويلا، لماذا؟

لأن هذه العقائد والتوحيد وأصول الدين ليس فيها قولان، لا يصح فيها رأيان، لا يسوغ فيها قولك صواب وقولي صواب وكلنا مجتهد، لماذا؟

لأن الاجتهاد في الفروع والاستنباط والفهم فأما هذه فنصوص وقطعيات ومن الوضوح بمكان فلا يجتهد فيها.

ولذلك هذه المسائل يأخذها اللاحق عن السابق ويدين بها ويعتقد ويجتهد لها ولا يجتهد فيها.

⬅ تجد بين السلف أمور في العقائد فيها آراء مختلفة لكنها ليست من أصول العقائد، مسائل هينة يصح الاختلاف فيها بما ورد من الأدلة على كل منها، كمثل المسائل التي يُلحقها الأئمة بالتوحيد خلافا لبعض الفرق من أهل الأهواء وكذا.

⬅ وهو هنا يتكلم عن مسألة رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة.

وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة: أي نحن نأثر ولا نقترح، نتبع ولا نبتدع.

فلا ينكرون الرؤية كما ينكرها بعض الناس جملة، ولا يتدخلون بما مآله الحيَرة في المسألة، وعدم التسليم بالنصوص الواردة، كما في قول بعضهم: أن الله يُرى لا في جهة لا فوق وهكذا، فهذا أمر محيّر يثبت أمر الرؤية ولكن ينفي شيئا آخر ثابت بنصوص كثيرة لا حصر لها من القرآن والسنة وكلام العلماء من إثبات العلو لله تعالى، ومنه ما خصة الأئمة بالتأليف مثل الإمام الذهبي في كتابه «العلو».

قال الإمام الطبري –رحمه الله-:

حدثنا أبو السائب سلم بن جنادة، حدثنا ابن فضيل، وحدثنا تميم بن المنتصر، ومجاهد بن موسى، قال تميم: أنبأنا يزيد، وقال مجاهد: حدثنا يزيد بن هارون، وحدثنا ابن الصباح، حدثنا سفيان، ومروان بن معاوية، ويزيد بن هارون، جميعا عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله، قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: « إِنَّكُمْ رَاءُونَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ–أي لا تشكون في رؤيته-، فَإِنِ

اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ –وهي الصبح- وَقَبْلَ غُرُوبِهَا –وهي العصر- فَافْعَلُوا » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}. ولفظ الحديث لحديث مجاهد، قال يزيد –وهو ابن هارون-: من كذب بهذا الحديث فهو بريء من الله ورسوله. حلف غير مرة، وأقول أنا: صدق رسول الله، وصدق يزيد وقال الحق.

قال الشيخ: فهو يقدم الدليل على معتقده في كل جزئية من الكتاب ومن السنة، وحتى الدليل يعتقد فيه، وهذا الصواب.

فلا يعتقد الإنسان أصولا تُقَيده عن اتباع النص فإذا عارض النص أصوله لوَى عنق النص ليوافق الأصول.

والتشبيه في الحديث: فيه تشبيه الرؤيا بالرؤيا، تشبيه المرأي بالمرأي فليس تشبيه الله بالقمر.

فستحدث الرؤيا بيقين لا شك فيه، وسيرى المؤمنين كلهم ربهم في الجنة كما يرى الناس القمر في الدنيا، ولا يغلب أحد على أحد في قسط منه، فالكل سيرى ربه لايشكون في ذلك.

قال يزيد: من كذب بهذا الحديث فهو بريء من الله ورسوله.

فالحديث متواتر والمعنى فيه موجود في القرآن والسنة وقام عليه الإجماع.

والعلماء ينصون في هذا الموضع من العقائد: أن من كذب بالرؤية حرمها.

وأقر الطبري بعد ذلك بما قال الرسول صلى الله عليه وسلم، وبما قاله يزيد.

وهذه المسألة الثانية التي تناولها الطبري –رحمه الله تعالى-.

قال الإمام الطبري –رحمه الله-: بلغغغغغغغغغغغ 40

(هذه المسألة الثالثة: القول في أفعال العباد)

وأما الصواب من القول لدينا فيما اختلف فيه من أفعال العباد وحسناتهم وسيئاتهم: فإن جميع ذلك من عند الله تعالى، والله سبحانه مقدره ومدبره، لا يكون شيء إلا بإذنه، ولا يحدث شيء إلا بمشيئته، له الخلق والأمر كما يريد -(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)-.

قال الشيخ: وأيضا استخدم كلمة الصواب؛ لأن الآراء مطروحة، آراء أهل السنة وغيرهم، وأدلة كل قول حرص عليها أصحابه.

فإن جميع ذلك من عند الله تعالى: أي شاءه الله، لا يخرج عن مشيئته، وإذا وُجد فهو موجود في كون الله تحت سمعه وبصره، فهو من عند الله مشيئة وخلقا.

مقدره ومدبره: فإن القدرة تأتي بعد الإرادة، والإرادة تأتي بعد العلم، فكل هذا التقدير والتدبير عن علم وإرادة.

ولذلك المعتزلة والقدرية لما قالوا: ليس لله في أفعال العباد صنع إلا المعرفة التي أعطاها للفعل.

فهم ينفون قدرة الله السابقة على الافعال، فهم ينكرون مراتب القدر، والقدرة، والمشيئة، والخلق.

وهذا كله خطأ، فنحن نثبت علم الله بالأشياء قبل حدوثها، ونثبت كتابة الله لهذا العلم، ونثبت قدرة الله وإرادته، وأن كل ما يحدث ويُوجد قدّره الله تعالى، قال تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) الفرقان:2.

وعلى الطرف الآخر الجبرية وهم يقولون أن: الإنسان مجبورا على عمله ليس له اختيار فيه، فالإنسان مجبور على عمله سواء كان صالحا أو غير صالح، سواء كان مؤمنا أو كافرا.

فهم يعتبرون أن العلم والكتابه كانت عبارة عن لائحة من اللوائح أعطيها العبد وأجبر على تنفيذها.

وهذا تصور خطأ؛ لما جاء به القرآن الكريم الذي أثبت للعبد مشيئته واختياره، والسنة النبوية التي أخبرت أن للعبد أن يأخذ ويدع، وكذلك مخالف لما استقر في فطرة الإنسان، وفي شعورة، وعقله، وتطبيقه، وتنفيذه على الأرض، فبإمكاني أن أفعل أو أن أترك الفعل، أو أن أنشط أو أن أكسل، وكل هذا واضح.

لكن الإنسان الذي يضع فكرة معينة أمامه ثم ينظر للنصوص أمامه يجد أحد شيئين:

1) إما مخالف لفكرته فيحاول أن يطوعها له.
2) وإما موافق لفكرته فسيتدل به.

فمن ينفي الشفاعة يذهب للآيات، وللأحاديث التي تنفع الشفاعة عن الكافرين، والتي تنفيها بغير رضى الله، وهكذا، ويؤول الأحاديث التي تثبت الشفاعة إن لم يستطع أن يخفيها أو أن يجحدها.

كما جاء رجل إلى إمام من الأئمة الكبار وهو أبو العمرو بن العلاء يقول له: لو أنك قرأت بغير هذا الحق: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) إقرأ (وكلم اللهَ) بفتح الهاء، فقال له هب أني أطعتك وقرأت حتى يكون موسى هو المتكلم والله هو الذي صدر إليه الكلام، ماذا تفعل يا بئيس بقول الله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ)، قال لو استطعت أن أحكها من المصحف لفعلت.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من اتباع الهوى في هذه المسألة فقال: (إنّ مجوس هذه الأُمة المكذِّبون بِأقدارِ الله تعالى، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وإن لاقِيتموهم فلا تسلّموا عليهِم، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تصلوا عليهم).

فإن جميع ذلك من عند الله تعالى، والله سبحانه مقدره ومدبره: أي جميع أفعال العباد من طاعة أو معصية من عند الله، وهذه الأمور تمر بأربعة مراتب يسميها العلماء مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

1) العلم.
2) الكتابة.
3) المشيئة.
4) الخلق.

له الخلق والأمر كما يريد: فالأمر هو كلمات الله، والخلق هو فعل الله.

قال الإمام الطبري ــ رحمه الله-:

حدثني زياد بن يحيى الحساني، وعبيد الله بن محمد الفريابي، قالا: حدثنا عبد الله بن ميمون، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد

الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ». اللفظ لحديث أبي الخطاب زياد بن عبد الله.

قال الشيخ: فالله هو الذي وفق أهل الإيمان للإيمان، وهو الذي خذل أهل الكفر والمعاصي فكفروا بربهم وعصوا أمره.

لذلك نحن دائما نسأل الله المعونة وندعوه بالتوفيق فالأمر كله لله.

فالله أعطانا القدرة والمشيئة، فقدرتنا داخل قدرة ربنا، ومشيئتنا داخل مشيئة ربنا، فقد قال الله: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ).

إذا فالإنسان له قدرة ومشيئة؛ لذلك أنت محاسب، فالله عدل، إذا كنت مجبرا فلن يحاسبك.

قال تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)).

فالإنسان هو الذي يفعل ذلك، وعلم الله غير مؤثر في فعل الإنسان، فخلق الله للشيء ليس معناه أنه أجبرك عليه، إنما أنت شئته والله أوجده.

فالخلق والإيجاد من الله، والكسب من الإنسان.

قال الإمام الطبري –رحمه الله-:

حدثني يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا ابن أبي حازم، حدثني أبي، عن [ص:22] ابن عمر، قال: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ».

من هم المجوس؟ ماذا كانوا يقولون وبما كانوا يعتقدون؟

هم أهل فارس.

وكانوا يعتقدون أن العالم له خالقان:

- النور.
- والظلمة.

لذلك جاءت هذه اللفظة (الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ)، كأنهم لما نسبوا إلى الإنسان المشيئة والقدرة والخلق بفعله كأنهم جعلوا مع الله إلها آخر.

وهذا يتحقق في المعتزلة وقولهم هذا.

وصل اللهم وسلم وزد وبارك على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

إدارة منتدى الجوهري